الأدعيـــــــاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،

فما من طائفة في الدنيا إلا وتدعي أنها على الصواب وغيرها في الخطأ ودعوتها سراب، والدعاوى كثيرة ودعاتها كُثُر فإن لم يأت أصحابها بالبينة فدعوتهم زائفة ومناهجهم زائلة ورؤسهم على شفا جرف هاوية، لكن من أخطر هؤلاء من يسِمُ نفسه باسم صحيح وعمله فيه قبيح، فيدَّعون الوسطية وهم من المفرطين أو الغالية، ويقولون نحن أهل الأثر ولا يدرسون في مجالسهم مصنفا لمن غبَرَ، ويزعمون أنهم سلفيون ولكن من السلفية فروا وفي الحزبية وقعوا،

فالسلفية ليست حكرًا على شيخ مشهور أو مؤلَّف مقبول أو مسمى حادث منثور إنما هي منهج قويم وطريق نبوي مستقيم واتباع لا يصرفه تأويل أو هوى أو تحجيم

فالسلفيون حقًّا لهم معالم يعرفون بها ومنها:

إمامهم الكتاب والسنة بالفهم الذي ارتضاه الأئمة ،

يتعبّدون الله بطلب العلم وتعليمه

لا يطلبون العلم طمعا في ظهور أو رئاسة

والعلم الذي يتعلمونه أورثهم التجافي عن الدنيا الفانية

ولا يدخلون في شيء من الباطل في دعوتهم فتراهم أعظم الناس بُعدًا عن أبواب الفتن

يعظمون الحق ويحبونه ولم يحصل لهم ذلك إلاَّ بإهانة الباطل وبغضه وهكذا ملة إبراهيم

معقد الولاء والبراء على الكتاب والسنة وليس على الراية والخوف من الفرقة

خالفوا المتعصبة في أعظم أصولهم وهي موالاة من يوالي شيخي ومعاداة من يعاديه

فأهل السنة في ربوع الأرض سلفيون وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم وتباعدت الديار بينهم

أما المتعصبة فيعتقدون: إن لم يكن معنا فليس منا وإن لم يجرح من جرحه شيخنا فهو مجروح، وإن لم يقرأ كتاب إمامنا فهو الجهول وإن حفظ الأصول

فالحذر الحذر من قطاع الطريق فليسوا على الجادة وإن زعموا الهداية والتوفيق وعليك بمن قد علموا العلم ودونوا الدواوين ورحلوا وقد أمنوا من فتنة الدنيا وزلات المفترين

قال ابن رجب: وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد: وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الأئمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ مالم يأخذ به الأئمة من قبله.

ثم تكلم على أناس تعلموا العلم ولكن لم ينتفع بما تعلموا فهم في الظاهر يدعون الحق والحق بريء منهم :

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا. والمنافسة فيها. وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إليه

ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والانقياد إليه والتكبر على من يقول الحق خصوصاً إن كان دونهم في أعين الناس. والإصرار على الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم بإظهار الرجوع إلى الحق وربما أظهروا بألسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها على رؤوس الأشهاد ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فيمدحون بذلك

فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مقاما ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد قال الحسن إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المواظب على عبادة ربه وفي رواية عنه قال الذي لا يحسد من فوقه ولا يسخر ممن دونه ولا يأخذ على علم علَّمَه الله أجراً

قال بعض السلف: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لربه فإنه كلما ازداد علماً بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكساراً

ومن علامات العلم النافع أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا وأعظمها الرئاسة والشهرة والمدح فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع. فإذا وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه

في خوف شديد من عاقبته بحيث أنه يخشى أن يكون مكراً واستدراجاً كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته.

ومن علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدعى العلم ولا يفخر به على أحد ولا ينسب غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها فإنه يتكلم فيه غضباً لله لا غضباً لنفسه ولا قصداً لرفعتها على أحد.

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل وتَنَقُّصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأرداها.(١)

وأين العلم وأين أهله في زماننا كدت أن أقول كما قال الإمام الذهبي : وأين أهل الحديث كدت لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

فالغربة قد استحكمت والغرباء أفراد قليلون في أناس سوء كثيرون والموفق من وجد راحلته ووفق لمن ترجى مصاحبته وصرف عنه أصحاب القيل والقال ، ومن يأكلون لحم البشر ليل نهار

نسأل الله أن يعصمنا من مضلات الفتن وأزمات الزمن وهبوات المحن

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أحمد بن سليمان

(١) بتصرف من فضل علم السلف